التحولات الدولية المعاصرة وافاقها المستقبلية
في مرحلة ما بعد جائحة كورونا - رؤية سوسيولوجية

Contemporary international transformations and their future prospects In the Post-Coronavirus Pandemic A Sociological Vision

الكلمة المفتاحية : **الجائحة، كورونا، التحولات، المعاصر، العالم.**

Keywords: Pandemic, Corona, transformations, contemporary, the world.

أ.م.د. حمدان رمضان محمد

جامعة الموصل - كلية الآداب

Assistant Prof. Dr. Hamdan Ramadan Mohammed
Mosul University - College of Arts
E-mail: hamdan1966@yahoo.com

ملخص البحث

Abstract

استهدف البحث التعرف على طبيعة التحولات الدولية المستجدة على الساحة السياسة العالمية وعلاقتها بالنظام العالمي الجديد بعد جائحة كورونا (كوفيد /١٩)، فضلاً عن ذلك حاولنا تحديد بعض المتغيرات الدولية المحتملة في عصر ما بعد جائحة كورونا، فضلا عن ذلك تم الاشارة الى معرفة ابعاد وتداعيات فيروس كورونا على الانظمة المجتمعية، ويعد هذا البحث من البحوث الوصفية التحليلية استخدمنا فيه المنهج الاستقرائي والاستنتاجي لتحليل الاستشراف المستقبلي، واهم المتغيرات المتوقعة في تغيير منظومة العالم الجيو– سياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعد جائحة كورونا في ظل النظام الدولي القادم، وخلص البحث بان النظام العالمي بعد كورنا لن يعود كما هو قبله.

المقدمـــــة

Introduction

جرى على ألسنة الكثير من الناس إن جائحة كورونا ستقلب الموازين رأسا على عقب؛ وإن عالم ما بعد كورونا لن يكون حتما مثلما كان قبل كورونا. والحقيقة أن هذا القول فيه قدر من الصحة، ولكنه لا يخلو من المبالغة في ذات الوقت. ذلك أن كورونا شأنها في ذلك شأن طواعين وجوائح وكوارث طبيعية أخرى ضربت البشرية قديما وحديثا ستمر آجلا أم عاجلا، ولن تكون نهاية التاريخ أو بدايته، ولكنها بكل تأكيد ستترك ندوبا نفسية وآثار سياسية واقتصادية واجتماعية واسعة النطاق داخل الدول وفيما بينها، وفي نظام العلاقات الدولية.والتقدم العلمي، وتشابك مراكز الأبحاث في مختلف دول العالم وشعور الجميع بالخطر الماحق الذي يتهدد حياة البشر، سيساهم كل ذلك بشكل أو بآخر في تسريع الخطى نحو اكتشاف لقاح فعال لهذا الوباء، ولكن قبل الوصول إلى ذلك المبتغى، الكثير من المياه ستجري داخل المجتمعات والدول(عبد السلام، ٢٠٢٠).

المؤكد إن العالم مقبل على تحولات كبرى ومخاضات عسيرة، ستختلط فيها الأزمات الاقتصادية بالمطالب السياسية والاجتماعية، والصراعات الدولية بالنزعات الشعوبية ومطالب التحرر بالإرهاب والأزمات الاقتصادية والسياسية وغيرها.يتوجب لفت الانتباه هنا إلى أن التحولات السياسية سواء أكانت محلية أم دولية لا تولد بين عشية أو ضحاها، كما إنها لا تسير وفق وتيرة خطية ومنتظمة، ذلك أن عالم السياسة كما يذكّرنا الفيلسوف الألماني والحقوقي(كارل شميت) لا يخلو من العرضي والطارئ *(Carl Schmit , 1996)*.

وهذا ما يدفعه إلى الامتناع عن التنبؤ الحسابي الدقيق. إذ لا أحد كان يتوقع أن يشهد العالم هذه الجائحة بمثل هذه السرعة، أو تغلق الدول مطاراتها وموانئها ومصانعها وتخلي مدنها بالكامل تقريبا، كما إن الحروب تلعب دورا حاسما في هز وتيرة الجمود داخل المجتمعات وبين الأمم، أو هي أداة التاريخ غير الواعية على ما يقول ماركس، فإن الكوارث الطبيعية والبيولوجية من طواعين وأوبئة وجوائح شأنها في ذلك شأن الأزمات الاقتصادية والسياسية وغيرها، تلعب

دورا مهما، وأحيانا حاسما، في هز الجمود وتحريك التوازنات داخل الدول وفيما بينها. وقد غدا معهودا اليوم استعارة لغة الحرب عند الحديث عن أزمة كورونا من قبيل. نحن في حرب، ونحن في مواجهة مع العدو، مع استحضار مقولتي النصر والهزيمة(عبد السلام، مصدر سابق،ص٢–٣).

اشكالية البحث:

The Problem:

تعرض النظام العالمي خلال العقود الثلاثة الاخيرة الى ثلاث محطات مهمة، مثلت نقاط تحول في مساره وشكله على نحو جديد، وهي حرب الخليج الثانية، وهجمات الحادي عشر من سبتمبر، واخيرا تفشي فايروس كورونا وتحوله الى جائحة عالمية، كانت حرب الخليج الثانية مسرح لتتويج الولايات المتحدة الامريكية على عرش الهرمية الدولية بصفتها القوة العظمى الوحيدة في العالم، ومن ثم صارت فلسفتها للنظام العالمي حاسمة على نحو ما للنظام نفسه، اما هجمات سبتمبر فقد كانت نقطة تحول وانحراف للنظام وتصاعد في مساره العسكري وتحوله اكثر عدوانية بعد تفشي الارهاب العالمي، وتحوله الى مهدد رئيس للنظام وبالنتيجة تقلصت فروض النظام المثالية امام انطلاق الوجه العدواني فيه، واندلاع الحروب والهجمات على نحو كبير.

بدت جائحة كورونا التي تضرب بشكل لا هوادة فيه كل ارجاء النظام، قادرة على اعادة تشكيله على نحو دائم، ولكن اذا كانت مسارات التحول للأحداث الكبرى التي مثلت نقاط تحول للنظام، تعطي اشارات الى شكله او فلسفته القادمة، فان ما يميز جائحة كورونا هو انه من الصعب، ومع استمرارها بالتحرك قراءة معطيات التحول الذي ستفرضه على النظام ولا مسارات ذلك التحول الذي ممكن ان تحدثه(بوتاني،٢٠٢٠)، وعليه نجد بان الموضوع يستحق البحث والدراسة

تساؤلات البحث:

The Questions of the Study:

يطرح البحث عدة اسئلة حاولنا الإجابة عنها:

ما التغيرات التي سوف يحدثها فيروس كورونا على مجمل القضايا الراهنة في العالم؟. ما تداعياته القريبة والبعيدة المدى في العلاقات الدولية وعلى نمط الحياة اليومية المعتاد للكرة الارضية؟. وما الاحتمالات المستقبلية لظهور تجاذبات او بروز اقطاب جديدة في ظل الظروف والتجليات والمألات والتطلعات الدولية التي يشهدها العالم في الوقت الراهن ؟. ما اهم ملامح ومؤشرات هذا التحول؟. الى أي مدى يمكن استشراف المستقبل والمستجدات الجيوسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في النظام العالمي بعد أزمة كورونا ؟

اهداف البحث:

The Aims of the Study:

استهدف البحث تحقيق عدة اهداف منها:

١. التعرف على احتمالات التحول للنظام العالمي في ظل الظروف الدولية الراهنة.

٢. تحديد المتغيرات الدولية المحتملة في عصر ما بعد جائحة كورونا.

٣. معرفة ابعاد وتداعيات فيروس كورونا على الانظمة المجتمعية بشكل عام.

٤. تشخيص مستقبل النظام الدولي العالمي ما بعد ازمة كورونا.

٥. ابراز دور الاقطاب والتحالفات الدولية الجديدة في ظل النظام العالمي ما بعد وباء كورونا

اهمية البحث:

The Importance of the Study:

تتجلى اهمية هذا البحث من كون ان أزمة جائحة كورونا على الرغم من طابعها المأساوي وما ولّدته من إتلاف في الارواح وتعطيل لحركة المجتمعات وخسائر مادية، الا أنها كانت ضرورية ليقظة الوعي الإنساني وتجنب الكثير من المتاهات التي انساق إليها الاجتماع السياسي الكوني بوعي أو من دون وعي. فضلاً عن ذلك الحاجة الماسة الى دراسات لاستشراف المستقبلي في ظل تهديد المخاطر الناتجة عن انتشار فيروس كورونا. كما تأتي اهمية هذه الدراسات التي تتناول انتشار وباء في العالم التي بلغت تأثيراته على طريقة ادارة العالم بمنهجيات

مختلفة، فضلا عن ذلك تأتي اهمية الموضوع في دعم الدراسات البحثية في المؤسسات العلمية التي تناقش القضايا العالمية المؤثرة في صياغة القرار العالمي.

التعريف بمفهوم جائحة كورونا:

Defining the concept of the Corona pandemic:

اعلنت منظمة الصحة العالمية ان انتشار فيروس كورونا يمثل جائحة عالمية بعد ان اعلنت عنه مسبقا انه وباء في البداية انتشاره بمدينة وهان الصينية .والجائحة يقصد بها: "بانها اعلى درجات الخطورة في قوة انتشار الفيروس وذلك بانتشاره في اكثر من منطقة جغرافية في العالم وليس في قارة او اقليم، مما يتطلب مزيدا من النسق بين السياسات الوطنية والعالمية والاقليمية في تعزيز الوقاية والحماية من انتشار المرض، وتعتبر منظمة الصحة العالمية صاحبة اليد العليا في تحديد السياسات الصحية الملائمة للتعامل مع المرض والحد من انتشاره(المغير،٢٠٢٠).

اما فيروس كورونا: فهو مجموعة من الفيروسات التي يمكنها ان تسبب امراضا مثل الزكام والالتهاب التنفسي الحاد الوخيم(السارز) ومتلازمة الشرق الاوسط التنفسية(ميرز).تم اكتشاف نوع جديد من فيروسات كورونا بعد ان تم التعرف عليه كمسبب لانتشار احد الامراض التي بدأت في الصين في ٢٠١٠. يعرف الفيروس الان باسم فيروس المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة كورونا/2 (سارز كوف2). ويسمى المرض الناتج عنه مرض فيروس كورونا 2019 (كوفيد19). في مارس٢٠٢٠، اعلنت منظمة الصحة العالمية انها صنفت مرض فيروس كورونا 2020 (كوفيد19) كجائحة. تقوم المجموعات المختصة بالصحة العامة، مثل مراكز مكافحة الامراض والوقاية منها في الولايات المتحدة *(CDC)* ومنظمة الصحة العالمية *(WHO)*، بمراقبة الجائحة ونشر التحديثات على مواقعها على الانترنيت، كما اصدرت هذه المجموعات توصيات حول الوقاية من المرض وعلاجه. ويمكن ان تتراوح شدة اعراض مرض فيروس كورونا 2019 بين خفيفة جدا الى حادة. قد لا تظهر الاعراض على بعض الاشخاص مطلقا. وقد يكون الاشخاص الاكبر سنا او من لديهم حلات طبية اصلا مثل السكر وامراض القلب والرئة او

ضعف الجهاز المناعي اكثر عرضة للإصابة بدرجة حادة من المرض. وهذا مشابه لما يحدث عند الاصابة بأمراض الجهاز التنفسي الاخرى، مثل الانفلونزا(ويكيبيديا،٢٠١٩).

منهجية البحث:

The methodology:

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التحليلية استخدمنا فيها المنهج الاستقرائي والاستنتاجي لتحليل الاستشراف المستقبلي لوضع النظام العالمي ما بعد جائحة كورونا، والتحولات المحتملة حدوثها في النظام الدولي لما فرضه فيروس كورونا من مستجدات واحداث طارئة غير معتاد عليه العالم، ربما يؤدي الى تغير مجمل التحالفات والايديولوجيات والقضايا في العالم الى نظام اخر جديد يتلاءم مع الوضع الحالي واكثر استجابة الى متطلبات النظام العالمي من السابق تحت وطأة القطب الاحادي الذي كان يقودها الولايات المتحدة الامريكية بها سياسة العالم .

فرضية البحث:

The Hypothesis:

ينطلق البحث من الفرضيتين مؤداهما:

١. (ان تأثيرات جائحة كورنا قد غيرت من خارطة النظام الدولي بعد أنْ كان يسيطر عليها قطب واحد من المحتمل أنْ تتحول الى تعدد الاقطاب).
٢. (كلما ازادت شدة ودرجة انتشار جائحة كورونا في العالم مع ضعف امكانية القضاء عليه، كلما كانت التكلفة الاجتماعية بالأرواح والتكلفة الاقتصادية اشد ضررا بالمجتمعات).

المتغيرات الدولية المحتملة او المستجدة ما بعد جائحة كورونا في العالم

Potential or emerging international changes in the world after the Corona pandemic

أصبحت جائحة كورونا من الأحداث التي ستُخلِّف تحوّلاً في النظام الدولي والإقليمي على غرار الأحداث التي خلّفت تحوّلاتٍ كبرى مثل الحرب العالَميّة الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥ وأحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وظهور تنظيم الدولة الإسلاميّة "داعش" ٢٠١٤. ولكنّ جائحة كورونا تميّزت عمّا سبقها من أزمات وأحداث كبرى بأنّه حتّى الآن لم يتمّ التوصّل إلى تعيين مصدر الفيروس، ويتمّ التعامل معه على أنّه "عدوّ مجهول"، ما جعلَ العالَم أمام أزمة صحيّة شاملة فاقت تداعياتها السياسيّة والاقتصاديّة والأمنيّة والاجتماعيّة كلّ التوقعات، الأمر الذي سبَّب حالةً من الارتباك لدى الحكومات والدول كافّة(عبد الحافظ،٢٠٢٠).

تشغل مرحلة "ما بعد كورونا" مراكزَ البحث والدراسات في عدد من المناطق و الدول التي تولي "مراكز التفكير" فيها مكانة هامة تعني برصد واستقراء مختلف التغيرات الاقليمية والدولية واستشرافها. اليوم وفي ظل الواقع الحالي أكثر الاسئلة طرحا تتمحور حول طبيعة النظام العالمي الذي يمكن ان يتبلور من بعد جائحة كورونا؟ ومستقبل بعض المناطق التي تشهد اوضاعا خاصة وغير مستقرة ؟، بيد ان هذا السؤال يتردد في مختلف عواصم العالم، لكن له وقع خاص عندما يتعلق الأمر بالمنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط بصفة خاصة باعتبارها احد أهم بؤر التوتر على المستوى العالمي، فهذه المنطقة، كانت حقل الاختبار الأول عند الانتقال من نظام "الثنائية القطبية" إلى نظام القطب الواحد كما أنها أول إقليم يحتضن قوى دولية تتحدى الأحادية القطبية(روسيا في سوريا، والصين ضمن مبادرة الحزام الحريري). بيد ان العديد من الدراسات الاستشرافية واكثر الباحثين السياسيين تفاؤلا ترون انه من المؤكد ان الشرق الأوسط ما بعد كورونا لن يكون كما هو عليه الحال الان، فالمنطقة منذ فترة طويلة واقعة على "رمال متحركة"، ومع الواقع المفاجئ الذي فرضه وباء كورونا قد ينتقل هذا الاخير من طبيعته المبنية على أزمة وباء طبية الى وباء جيواستراتيجي شامل في المنطقة يحدث شرخا عميقا في الاوضاع الداخلية والقطرية والعلاقات البينية والتوازنات والتفاعلات الاقليمية بما يولد تفاقم كبير في

التوترات الداخلية و الإقليمية على طول خطوط الصدع والمواجهة التي عرفت نوعا من الركود الحذر مع هذه الازمة(المركز الديمقراطي العربي،٢٠٢٠).

إنّ ما أَسهَم مؤخّراً في تعميق الجوانب البنيويّة النّظام العالَميّ وارتباك الإدارة الأميركيّة، هو اتّجاه إدارة الرئيس(ترامب) نحو إعادة النّظر في العديد من الاتّفاقات والمُعاهدات الدوليّة، لا لتحسينها وتحقيق المزيد من التوازُن في تطبيقها في عالَمٍ مُتغيّر، بل لزيادة إحكام السيطرة الآحاديّة للولايات المتّحدة على النّظام العالَميّ نفسه. واعتَمدت هذه الإدارة على استراتيجيّة مثلّثة الأضلاع تحقيقاً لأهدافها: البدء بإعلان الانسحاب الصريح من هذه الاتّفاقات، تليه من جانب الطرف الأميركي مُمارَسة العقوبات أو التلويح بها ضدّ خصومه، ومن ثمّ الانتقال إلى التفاوُض مُجدّداً إذا ما لاحت فُرص تحسين الشروط لصالحه. ومن الأمثلة الساطعة على هذا النَّهج المُتقلّب، التعديلات التي فرضتها الولايات المتّحدة على مشروع الشراكة عبر المحيط الهادي، وانسحابها من منظّمة اليونسكو ومن مجلس حقوق الإنسان ومن اتّفاق باريس حول المناخ، ثمّ تجميد تمويلها مؤخّراً لمنظّمة الصحّة العالَميّة، وانخراطها المُلتبِس في ملفّ النفط والطّاقة العالَميّة، فضلاً عن لجوئها من جانب واحد إلى استخدام التعريفات الجمركيّة في مُواجَهة أهمّ شُركائها التجاريّين، ولاسيّما الصين وألمانيا وروسيا والعديد من الدول الأخرى(حمدان، ٢٠٢٠).

وإذا كان أشدّ ما يُقلق الإدارة الأميركيّة هو تنامي الوزن السياسي والاقتصادي للصين في المُعادلات الدوليّة واتّجاه ناتجها المحلّي نحو تجاوُز النّاتج الأميركي خلال عقْدٍ من الزمن، فإنّ مضيّ الولايات المتّحدة في مُحاوَلة عزْل الصين وتقييد مُبادلاتها ومنْعها من امتلاك المزيد من القدرات التكنولوجيّة وإخضاعها للشروط الصارمة المتعلّقة بحماية الملكيّة الفكريّة، لن يُغيّر بشكلٍ جذريّ في مجرى التاريخ الذي تولّت الصين بناءه لَبِنة لَبِنة وبشكلٍ تراكُميّ مُستدام منذ إطلاقها الإصلاحات الاقتصاديّة الكبرى في أواسط السبعينيّات، فضلاً عن أنّ الصين أصبحت اليوم لا تستقوي بقوّتها الاقتصاديّة وتقدّمها التكنولوجي وعلاقاتها مع شركائها في مجموعة البريكس فحسب، بل هي باتت تَجِد آذاناً صاغية، وخصوصاً في أوروبا وفي العديد من البلدان المشمولة بمشروعها الطموح المتعلِّق ببناء طريق الحرير، في وقتٍ يعيش فيه الصينيّون فضلاً عن

ذلك "حقبة تفجُّر الشعور بفائض الثقة الثقافيّة بالذّات" على حدّ تعبير العديد من الأوساط الأكاديميّة الغربيّة. وإذا ما كانت هذه الوقائع قائمة قبل تفشّي وباء الكورونا، فمن المؤكّد أنّها سوف تتعزّز أكثر بعد هذا الوباء. فالذي خرجَ متفوّقاً – والبعض يقول مُنتصِراً – من أزمة الكورونا، هو المرشّح للاضطلاع بالدَّور الأبرز في رسْم مَعالِم المُستقبل(المصدر نفسه:ص٤).

وللهَلع العالَميّ من فيروس كورونا أكثر من مُبرّر منها سقوط وهْم التحكُّم والسَّيطَرة. فللمرّة الأولى يقف إنسانُ عصرِ الرقْمَنة في مُواجَهة عجزه الكامل، في الوقت الذي كان يظنّ نفسه أنّها قد بلغت في مَسار الترقّي مرحلة منتهى القوّة. فقد توهّمت البشريّة أنّها تركت خلفها وإلى الأبد، ومنذ القرن الماضي، نزوات الطبيعة القادرة، بصُدفٍ بيولوجيّة لا دخل فيها ليَدِ الإنسان، على تخليق فيروسات جديدة تتسبّب في مَوجةٍ وبائيّة يموت منها ملايين البشر. وبسببٍ من هذا الوهْم، راجت مع بداية الانتشار الوبائيّ للفيروس خارج حدود مَنشئه الأوّل في يوهان الصّينيّة نظريّاتُ المؤامرة القائلة إنّه في الأصل صنيعة مخبريّة ابتدعها الإنسان بنفسه في إطار التجارب السريّة التي تجريها بعض الدول تحضيراً لحربٍ وبائيّة قادِمة(غنيم،٢٠٢٠).

وتُعتبر هذه التكهّنات، على سوداويّتها الظاهرة، أقوالاً مُبالغة في التفاؤل لأنّ من مُقتضياتها إرجاع الإنسان إلى مَركز السيطرة، والتوهُّمَ بأنّه قادر على وقف المدّ الوبائيّ متى أراد، أو التحكُّم في مَساره، طالما أنّ بيده مفاتيح تخليق الفيروس. ولكنْ هيهات. فمَع تسارُع نسق العدوى، وانتشار الجائحة على الخارطة العالَميّة انتشاراً أعمى، وسقوط الضحايا بعشرات الآلاف في بلدانٍ تمثّل في التصوّر السائد مَراكِز عِلميّة وبحثيّة رائدة، ومع فقدان الأمل في التوصّل إلى لقاحٍ قبل مرور سنة كاملة على الأقلّ، استقرّ وعيٌ فاجعٌ بأنّ البشريّة في مُواجَهةِ عدوٍّ مجهول صنعتْه الطبيعة بحيادها الوحشيّ لتُذكِّر الإنسان بأنّه، إن يصدقْ أنّه الكائن الأرقى بين الأجناس، لا يزال تلميذاً مُبتدئاً في مُختبر الكَون الشاسع(المصدر نفسه:ص٢).

لكنّ الأكثر جوهريّة في الأمر، هو أنّ تفشّي "كوفيد – ١٩" أظهر عجْز الدول التي تصف نفسها باللّيبراليّة، ولاسيّما تلك التي تُجاهر بما يُعرف بـ"اللّيبرالية الجديدة" في صورتها الأشد أنانيّة وتوحّشاً القائمة على تعظيم أرباح الرأسمال الكبير وغنائمه، وتهميش أوسع ما يُمكن

من الناس، اقتصادياً واجتماعيّاً، ما أدّى إلى تلاشي الطبقات الوسطى واضمحلالها، وتردّي الخدمات الاجتماعيّة الضروريّة في مجالاتٍ حيويّة كالتعليم والصحّة ومَرافِق البنية التحتيّة وما إليها، فانكشف تردّي الخدمات الطبيّة في هذه الدول، ووجود قطاعات شعبيّة هائلة العدد خارج مظلّة التأمين الصحّي، التي يستثمر فيها القطاع الخاصّ بالدرجة الأساسيّة، والمَعنيّ بمُراكَمة الأموال، أكثر من عنايته بالسلامة البدنيّة للناس. وكان التعبير الصارخ عن ذلك ما ذهب إليه الرئيس الأميركي دونالد ترامب من أنّ موت ١٥٠–٢٠٠ ألف أميركي مع خطر فقدان مليونَي مُواطِن لأعمالهم، هو أهون الشرور. ولا تقلّ فجاجة دعوة رئيس الحكومة البريطانيّة بوريس جونسون إلى ما وصفه باستراتيجيّة "مناعة القطيع" التي تعني إطلاق العنان للفيروس كي ينتشر ويأخذ مداه، قبل أن ينحسر من تلقاء نفسه، "مُبشِّراً" البريطانيّين بأن يستعدّوا لفقْد الكثيرين من أحبّتهم(مدن،٢٠٢٠).

وفي وقت يسعى فيه مئات الملايين من البشر إلى فهم طبيعة فيروس كورونا وكيف ومتى سيزول خطره، ذهبت مجلة فورين بوليسي إلى ما هو أبعد بمحاولة خلق تصور لما سيكون عليه شكل العالم سياسياً واقتصادياً بعد الأزمة الحالية. المجلة وجهت سؤالها لعدد من المفكّرين وكانت تصوراتهم كالتالي: يقول ستيفن والت، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة هارفرد إن الوباء سيدعم صعود الحركات القومية ويدعم سلطة الحكومات وقبضتها على مقاليد الأمور. وستتبنى الحكومات بمختلف اتجاهاتها إجراءات طارئة في محاولة لاحتواء انتشار الفيروس ولن يتخلوا عن تلك السلطات بسهولة فور انتهاء الأزمة. كما سيؤدي الفيروس إلى سرعة انتقال ميزان القوى العالمية من الغرب إلى الشرق وإلى دول استطاعت تدارك الأزمة بشكل سريع نسبياً ككوريا الجنوبية وسنغافورة والصين في وقت تباطأت فيه الحكومات الغربية الأوروبية ودخلت في طرق عشوائية لاحتواء الأزمة وهو ما سيؤدي في النهاية إلى زوال عصر سطوة العلامة التجارية الغربية(يورو ميوز ٢٠٢٠).

أما (روبن نيبلت)، مدير مركز تشاثم هاوس للأبحاث فيقول إن وباء كورونا سيكون سببا في نهاية العولمة بشكلها الحالي خاصة وأنه يأتي بعد توتر تجاري بين الولايات المتحدة الأمريكية

والصين ومطالبات نشطاء البيئة بخفض انبعاثات الكربون وهو ما سيدفع الحكومات إلى إعادة النظر في الاعتماد على خطوط الإمداد بعيدة المدى. وستدفع أزمة كورونا الحكومات والشركات والمجتمعات إلى التكيف على فترات طويلة من الاكتفاء الداخلي والعزلة الاقتصادية. ويرى(كيشور محبوباني)، زميل بجامعة سنغافورة الوطنية أن العولمة ستنتقل من مركزها الحالي بالولايات المتحدة الأمريكية إلى الصين كمركز جديد لها. وهو تغيير بدأ بالفعل قبل ظهور الفيروس وذلك بعد فقدان الأمريكيين الثقة بالعولمة في وقت إزدادت فيه ثقة الصينيين بها. وثبت الصينيون انفتاحهم الاقتصادي على العالم خلال السنوات الماضية وصارت لديهم الثقة بقدرتهم على المنافسة في أي بقعة من بقاع العالم(المصدر نفسه:ص٤–٣)

يقول (جون إكينبري)، أستاذ السياسة بجامعة برينستون: إن الوباء سيؤدي إلى صعود القومية والسلطوية حتى بين أكثر الأنظمة ديمقراطية في العالم ولكنه سيكون صعوداً مؤقتاً مثل ما حدث خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي قبل أن تصل تلك الدول إلى الديمقراطيات الحقيقية التي سادت بها لعقود طويلة. أي أن ما سيحدث هو إكتشاف تلك الدول لدميقراطياتها الحقيقية عبر فترة انتقالية من السلطوية. اما (اشيفشانكر مينون)، باحث ومستشار سابق لرئيس الوزراء الهندي يقول إن وباء كورونا سيغير شكل العلاقات السياسية بين الدول وداخلها. وستزداد سطوة الحكومات وسيقل التحرر ولكن هذا لا يعني أن الشمولية ستسود فدول مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة نجحت إلى حد بعيد في احتواء الأزمة وهي أنظمة ديمقراطية وليست ديكتاتورية. لكن في جميع الأحوال ستتجه الدول إلى الانغلاق والرغبة في التمحور داخلياً وسيؤدي هذا إلى عالم أفقر وأقل كرماً. تقول(لوري غاريت)، كاتبة علمية حائزة على جائزة بوليتزر: سيؤدي الفيروس إلى خلق مرحلة جديدة من الرأسمالية العالمية(جديدة) ستخشى فيها الشركات والحكومات من نظم التجارة الحالية العابرة للحدود وخاصة بعدما اظهر الفيروس أن هذا الانفتاح الكبير قد يجلب معه أمراضاً مميتة في غضون أيام وساعات قد تسعى تلك الشركات والحكومات – بعد الخسائر التي تتكبدها حالياً ومستقبلاً بسبب الفيروس، إلى

الانطواء داخلياً وتتبع نهجا يقضي بالاعتماد على الإنتاج والتوزيع والربح الداخلي كوسيلة أكثر أماناً من الانفتاح العالمي الهش(المصدر نفسه:ص٢).

المؤكد هنا أن الدول التي تبدي نجاحاً في إدارة أزمتها وتظهر قدرة على تحمل الخسائر البشرية والمادية، ستخرج أقوى وأوفى. وفي الحد الأدنى ستصعد درجات في سلم التنافسية الدولية، مقابل ذلك فإن الدول التي لم تنجح في السيطرة على الأزمة، أو لم تقو على تحمل تبعات وارتدادات هذه الجائحة، ستخرج ضعيفة أو أكثر ضعفا وهشاشة. هذا الأمر أشبه ما يكون بحرب ستخرج منها جيوش منتصرة وأكثر قوة ومناعة، وأخرى مهزومة، أو في الحد الأدنى مثخنة ومنهكة. والحقيقة أن عالم السياسة ليس بعيدا عن عالم الحروب والجيوش، وفعلا كورونا هي أشبه ما يكون بحرب ساخنة وشرسة، ولكن من دون جيوش مرئية أو عدو واضح الوجه والمعالم، ومن دون أسلحة خفيفة أو ثقيلة، ولكنها تظل في نهاية المطاف سلاحا بيولوجيا مجهريا متحركا، ولكنها أكثر خطورة وفتكا من الأسلحة النارية(عبد السلام، مصدر سابق: ص٥).

يبدو أنّ ظهور فيروس كورونا ما هو إلّا آخر جرس إنذار من بين تلك الأجراس التي أطلقتها كلّ الدعوات السابقة والرّاهنة، من فلسفيّة وسوسيولوجيّة وأنثروبولوجيّة وبيئيّة وغيرها، إلى ضرورة أنسنة العالَم، والتي لم تكُن قد لاقت إلى الآن آذاناً صاغية، على الرّغم من تنوُّع مَصادرها واتّجاهاتها... إلى أن نُكِب العالَم بوباء كورونا أو *Covid-19*، الذي قد يقود إلى تشكيل وعي عالَميّ جديد ربّما يكون، في حال نجاحه، قد حقَّق انتصار ثورة الطبيعة على ثورات البشر التي عرفها القرن الحادي والعشرون. الكُتب والأبحاث، التي واكَبت التغييرات العالَميّة التي أحدثتها العَولمة منذ تسعينيّات القرن الفائت، ولاسيّما التغييرات السلبيّة على الأصعدة كافّة، توالت بالآلاف. عناوين مُتفرّقة ومَفاهيم جديدة مثل "خيبات العَولمة"، و"اختلال العالَم" وبربريّته وعُنفه وفوضاه، وكذلك حداثته "السائلة" أو "الفائضة" أو "الفائقة"...إلخ، أضحت صرخات مدوّية ضدّ "عالَم الميوعة" بثالوثه غير المقدَّس الذي يتألّف، بحسب صاحب مفهوم "الميوعة" أو"السيولة" زيغمونت باومان، من أقانيم ثلاثة: اللّايقين، فقدان الأمن، فقدان الأمان(صيداوي، ٢٠٢٠).وبقدر ما عبَّر فيروس كورونا عن انتفاضة الطبيعة ضدّ انتهاكات الإنسان

لها، واستكباره عليها، هذا الانتهاك الذي عبَّر عنه مُصطلح "عِلم الأوبئة المتغيّر"، الذي اقترحه عالِم الأوبئة المصري عبد الرّحمن عمران لوصف عصرنا بكونه "عصر تحلُّل وأمراض من صنع الإنسان"(واتس، ٢٠١٠).

لذا فتحَ الفيروسُ جردةَ حسابٍ ومُساءلةٍ لكلّ اليقينيّات التي أرستها اللّيبراليّة المتفلّتة من أيّ ضوابط؛ إذ إنّ الجانب الروحاني للإنسان، ببُعديه الإيماني أو غير الإيماني، شيء، والاستسلام للمنطق الغَيبي شيء آخر. وواقع الفوضى والاختلالات من كلّ نوع الذي أفضت إليه هذه اللّيبراليّة التي "لم تعُد تخاف من شيء" على حدّ تعبير الباحث الفرنسي(فرنسوا كوسّيه *François Cusset*)، يُحتّم علينا وضع الإصبع على الجرح، وتعيين مَكامن المرض؛ ومن هنا جملة المُراجعات والأسئلة من كلّ نَوع التي لا يتوقّف تداولُها في السياسة كما في الاقتصاد أو الفلسفة وغيرها من الحقول المعرفيّة(صيداوي،٢٠٢٠).

لذا لا أرى أنّ العالَم سيتغيّر كثيراً بعد انجلاء هذه الجائحة، وإنْ مَنَّى كثيرون الأنفُس بدخول قواعد جديدة، قد يكون أبرز مؤشّراتها عَودة الدولة إلى عهدها في تسيير مَقاليد الأمور، وما يعنيه ذلك من مُراعاةٍ للمصلحة العامّة، وتكثيفِ الرقابة، وتقليص التسيُّب. ومن ثَمّ تضييق الخناق على الخصْخَصة الجشعة، وما شابهَ ذلك من أحلام بعَودة الرأسمال البشري إلى محور التاريخ بعدما غدا على هامشه، حتّى طَغت فردانيّةٌ مُجحِفة على جميع مَناحي الحياة. ما هو جليّ، وبمنأى عن تلك الأحلام، أنّ التاريخ يتغيّر من داخله لا من خارجه، وأقصد أنّ البشرَ هُم صُنّاع مَساراته، بالسلب أم بالإيجاب، ضمن تحوّلٍ بطيء طويل، وليس وفْق تحوّلاتٍ مُتأتّية على وَقْع أحداثٍ خاطِفة أو جوائح مُرعِبة، مهْمَا كانت شاملة ومهما حصدت من أرواح. فلا يُمكن الحديث عن كبْح جَماح الاستغلال أو الحدّ من التفاوُت الاجتماعي، بفعْل تَوبةٍ مُباغِتةٍ للمُستغلِّين أو خشية جارِفة تُلِمّ بالمترَفين، ولكنّ الأمر كدحٌ يوميّ يصنعه المحرومون عبر نضالاتهم، بمُختلف الأشكال الإبداعيّة والعَمليّة والرمزيّة. فالجوائح والكوارث الطبيعيّة، مَهْما عظمت، لن تُغيِّر البنى الاجتماعيّة، لأنّ لتلك البنى منطقها وقواعدها الداخليّة، ولأنّها، وببساطة، تتغيّر بوقائع من جنسها تقف على نقيضها(عناية،٢٠٢٠).

سواء أكان نِتاج غضب الطبيعة على الإنسان أم نتيجة "اللّعب" بالمُختبرات الخاصّة بالأسلحة الجرثوميّة العائدة إلى دُولٍ كبرى بعَيْنِها، أم نتيجة لتناول بعضهم في الصين وجبات الخفافيش والنمْل الحرشفيّ وأنواعاً أخرى من الحشرات الآسيويّة، فإنّ وباء كورونا صارَ أمراً "أبوكاليبتيّاً" واقِعاً فَرَضَ نفسه على الجنس البشريّ برمّته ووضَعه أمام تحدٍّ واحدٍ لا مَحيد عنه: إمّا المُواجَهة الشاملة للقضاء المُبرَم عليه أو الفناء المُتمادي إزاءه. باختصار، ما تزال السياسات الدوليّة الرّاهنة جميعها، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً دون المستوى المطلوب في مُواجهة وباء كورونا المُستجِدّ، والوقوف القاطِع والحاسِم ضدّه على أساس أنّه وباء ضدّ الإنسانيّة قاطِبة، وأنّ على الأطراف الدوليّة جميعاً أن تأتلِف بدَورها لمُواجهته دونما تلكّؤ ولا مُوارَبة ولا التهاء بسياسات ومَواقف استعراضيّة لا تزيد الأمور إلّا تعقيداً على تعقيد، وتَحُدُّ، بالتالي، من سياسة تشجيع العُلماء والأطبّاء المُختصّين ودعمهم أينما كانوا على أرض هذا الكوكب، وإلى أيّ شعبٍ أو أمّة انتموا، بكلّ ما يحتاجونه من أدوات وعناصر وأموال تُساعد على إنجاح مهمّتهم الإنقاذيّة الكبرى، بعيداً من أيّ مُتاجرات احتكاريّة مسبّقة بمُنجزهم المُنتظَر(فرحات،٢٠٢٠).

كما لا يكترث وباء كورونا بكلّ إنجازات الحضارة الحديثة وثوراتها العِلميّة والتكنولوجيّة المُتقدّمة والضاربة عميقاً في مضمار الفيزياء الفلكيّة وعِلم الكَون.. علاوة على كلّ عمليّات اختراق الإنسان للنظام الشمسي وكواكبه وبدايات "التنبّؤ العِلمي" بمَصير الكَون وحتّى توسّعه، فكلّ شيء حتّى الآن يخضع لسلطان هذا الفيروس القاتِل، بل يَستسلم لجبروته الحاكِم الفاصل. ولا غرو، فقد تحوّلت الكرة الأرضيّة مع كورونا إلى غرفة موت صفراء واحدة، أو إلى مقبرة فانتازيّة معلَّقة في الهواء الشاحب المكروب. أربعة أشهر على الجائحة مضت أربعة أشهر على انتشار جائحة العصر: كورونا، فتغيّرت معها أشياء كثيرة في هذا العالَم كما عهدناه. فعدا التغيّر في أبسط أشكال عاداتنا الاجتماعيّة ومظاهرها التي تبدأ من السلام بالأيدي، وحضور مُناسبات الأفراح، والمُشارَكة في واجبات المآتم، ثمّ كسْر الضجر بالتردّد على المقاهي وسائر أمكنة الترفيه.. عدا ذلك كلّه، وما يشبهه ويتفرّع عنه، فقد تعطّلت الحياة الاقتصاديّة والفكريّة

والتربويّة والثقافيّة والرياضيّة؛ وتغيّرت بنى وأشكال سائر الاجتماعات والمُفاوضات بين الجهات السياسيّة على اختلافها، المحليّة منها والعربيّة الدوليّة(المصدر نفسه:ص٢).

تداعيات ما بعد جائحة كورونا على انماط وطبيعة المجتمعات الانسانية

Post-Corona pandemic repercussions on the patterns and nature of human societies

لقد فرض الكورونا حضوره المرعب قسرا على كل مناحي الحياة البشرية من اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية، واخل بتوازنات وتواضعات كانت تحفظ للانساق والمنظومات الاجتماعية والدولية درجة من الثبات بالرغم مما يعتريها من تفاعلات وتحولات كانت دائمة الضبط وفي سياق لا يخرج عما يستشرفه علم المستقبليات، وان كان العالم في سياق تطوره بفعل احداث جسام من ثورات واختراعات مر بالثورة الزراعية ثم الصناعية ثم عصر النهضة والحداثة وما بعد الحداثة ثم عصر العولمة واخيرا عصرا جديدا سيشهده العالم يسمى عصر ما بعد كورونا(ابراش، ٢٠٢٠).

العالَم ما بعد كورونا لن يكون كما قبله. هذا باختصار ما يُمكن استنتاجه بشكلٍ مَبدئيّ من تعاقُب تداعيات هذا الوباء على الصُّعد الدوليّة كافّة، السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والصحيّة والاجتماعيّة. ولأنّ هذه التداعيات لم تكتمل فصولاً بسبب استمرار تفشّي الوباء واستمرار تواتُر مُندرجاته المتنوّعة وتفاعُلها، ولأنّ ما يجري تداوله عالَميّاً من مُعطياتٍ إحصائيّة حول آثاره المتعدّدة لا يزال مجرّد تقديرات أوّليّة قابِلة للتعديل والمُراجَعة تبعاً لمَسار تطوُّر هذه الجائحة، فإنّ مُقارَبتنا التحليليّة سوف تسلِّط الضوء على ما تنطوي عليه هذه الظاهرة من إشكاليّات بنيويّة عميقة تتّصل بمَوقِع الإنسان في مَسار النمط الرّاهن للعَولَمة وعالَم رأس المال، ومُستقبل علاقته بالدولة، وصيرورة تموضعه ضمن توازنات الطبيعة ومُحدّداتها(حمدان، مصدر سابق :ص٤).

فضلا عن ذلك لا نريد ان ننساق مع التحليلات التي هولت من الكورونا لدرجة حديثٍ عن نهاية العالم وهو حديث لم يصدر فقط عن المهووسين دينيا بل ايضا عن مفكرين وعلماء علمانيين، ولكن من الصحيح ان تداعيات فايروس الكورونا خلال اربعة او خمس اشهر

فقط من ظهوره، او الاعتراف بظهوره في الصين في نهاية العام الماضي سيجعل العالم امام ابعاد كورونا مختلفا عما كان قبله، ليس فقط في مجال الصحة والطب، حيث كشفت الجائحة هشاشة النظام الصحي حتى في الدول المتقدمة بل ايضا في مختلف المجالات، وارهاصات هذه التداعيات ذات الابعاد الاستراتيجية نلمسها من خلال:

اولا: **النظام السياسي**:

First: the political system:

اذا كانت جائحة كورونا ستمثل نقطة تحول في النظام العالمي، مع صعوبة الحسم باتجاهات التحول واشكاله، الا ان ما يمكن تثبيته ان ما بعد الجائحة سيمثل مرحلة انتقالية للتحول في النظام وليس نقطة تحول بذاتها وهذا يعني ان العالم سيشهد مخاضاً عسيراً في النواحي الاستراتيجية والاقتصادية والنواحي الاخرى لولادة نظام عالمي مختلف او جديد، وبالنتيجة فان التحول هذا سيكون فاقدا لموازين القوة الذي كان حاسما في فرض فلسفة جديدة على النظام العالمي في كل مراحله التي شهدها عبر التاريخ لتبقى الافتراضات مفتوحة، وقياس المسارات اكثر صعوبة في بيئة تسير وسط رمال متحركة(بوتاني،٢٠٢٠).

اما على صعيد العلاقات الدولية، اندفعت الغالبية العظمى من دول العالم لاتخاذ إجراءات متسارعة تتعلق بحدودها وسيادتها وأمنها القومي، في ظل هشاشة النظم الإقليمية والدولية القائمة على مفاهيم ومقولات، أصبحت هي أيضًا محلَّ تساؤل عميق. فمقولة المجتمع الدولي وما أفرزته على مدى العقود الماضية من معاهدات وتحالفات وتكتلات وتجمعات ومنظمات للتعاون والشراكة، كل ذلك ستقع مراجعته وسيفقد صلابته التي كان العالم يعرفها ويسلِّم بها في السابق(المولى،٢٠٢٠).

فضلا عن ذلك فان تراتيبية النظام العالمي ستتعرض الى تصدع واضح مع تفاقم الازمة بين الصين والولايات المتحدة الامريكية وروسيا ودول اوربية واخرى متحالفة معهم، وهذا سيعني اعادة توزيع تعبئة الموارد للصراع العالمي على نحو مختلف، وانسحاب من ساحات واقاليم فرعية لاتزال ملتهبة، مما يبعث على القول اننا قد نكون امام اعادة توزيع نظام دولي جديد وشامل،

وتغيير وجه النظام العالمي بشكل كلي، وعلى ذات النسق تضرب الاركان الاخرى للنظام، لقد احدثت الجائحة بحق صدمة قوية ودهشة للنظام العالمي.

ثانيا: النظام الاجتماعي:

Second: the social system:

واضح أن كورونا قد شكلت قاموسها الاصطلاحي الخاص الذي دخل الحقل العام وكل البيوتات تقريبا، من قبيل التباعد الاجتماعي، الاحتكاك البدني الاجتماعي، الحجر الصحي، العزل الذاتي، الحجر الذاتي، تسطيح الخط البياني *flattening the curve*، وهذا يعني إنها ظاهرة قوية فرضت نفسها على الساسة والمثقفين وعامة الناس على السواء. ويكفي أن يلاحظ المرء حجم التغطيات الإعلامية التي تستأثر بها كورونا في وسائل الإعلام اليومية، وما يقال في مجالس الناس وبيوتهم حتى يدرك هذا الأمر. (عبد السلام، مصدر سابق:ص٣).

أمّا ردود فعل الجمهور تجاه الكورونا وعدواها وأخطارها، فتتراوح ما بين الاستهتار والتنكُّر للخطر وردود الفعل المَرضيّة المُبالَغ بها. يُضاف إلى ذلك ردود فعل الناس على الحَجْر المنزلي وما يُصاحبه من توتّرٍ وضغوطٍ وسواها، فضلاً عن الهلَع الذي يتمثَّل بحالةٍ من الخَوف المُفرط، الذي يتجاوز حدود الخطر الواقعي ويتّخذ شكلَ نَوبةِ ذُعرٍ تشلّ إمكانات التصرّف العقلاني. أمّا اضطّراب الوسواس القهريّ *OCD*، فيتّخذ شكلَيْن يتكاملان في ما بينهما، وهُما وسواس النظافة، ووسواس التجنُّب والحَذَر؛ وهو بدَوره ذو طابعٍ نفسيّ كامِن يتفجَّر مع أخبار الكورونا وأخطارها. أمّا وسواس العدوى *contamination*، فيؤدّي أساساً إلى سلوكيات تجنُّب الآخرين باعتبارهم جميعاً مَصدر عدوى داهِم. تَبرز هنا مَشاعِر الارتياب من الاحتكاك بالآخرين أو الاقتراب منهم، وصولاً إلى عدم الخروج من المنزل المُحصَّن والمُعقَّم الذي يوفِّر وحده مَشاعِر الأمان، ويؤدّي الحَجْر المنزلي المفروض وتزايُد التشدُّد من طرف السلطات إلى ضغوط نفسيّة والضِّيْعَة والاكتئاب لدى الناس العاديّين(حجازي،٢٠٢٠).

كما يؤدّي فرْض التباعُد الاجتماعي *Social Distancing*، الذي يُشكِّل التوصية الأكثر إلحاحاً على صعيد الوقاية، إلى بروز مَشاعِر الضِّيْعَة، وانحسار الوجود، والحرمان من الانفتاح على الدنيا والناس، أو ما يُعرف بسيكولوجيّة الأسير أو السجين. أمّا التباعُد

الاجتماعي، فيولِّد مُختلف أشكال الضِّيْعَة، وخصوصاً في بيئتنا الثقافيّة الشرقيّة التي تقوم على الجماعة ومرجعيّتها، وعلى الانتماء وصدارة التفاعُل والعلاقات الاجتماعيّة وألوان التعاضُد والتسانُد والشراكَة والتواصُل المُباشر، وذلك على العكس من صدارة الفرديّة الغربيّة والخصوصيّة والإصرار عليها والذي يألف العزلة في حياته الخاصّة. من هنا قد يكون التباعُد الاجتماعي أشدّ وطأة على إنساننا، وخصوصاً أنّ الحَجْر المنزلي غير معروف الآفاق راهناً أو بالتالي قد يطول نظراً لعدم مَعرفتنا العِلميّة بمدى تطوُّر الوباء ومدّة انحساره(المصدر نفسه: ص٣–٤).

أمّا شريحة الشباب، في ما خصَّ التباعُد الاجتماعي وشجونه، فهي تُشكِّل ملفّاً آخر وبحثاً آخر؛ إذ ما عدا فئة شباب الظلّ، أو الشباب المُهمَّش وخارج سوق الإنتاج، فإنّ سائر الشباب بصورةٍ عامّة ليس لديهم مشكلة طالما أنّهم أبناء الحضارة الرقميّة وأبطالها، وطالما أنّهم في لبّ التواصل الاجتماعيّ والرقميّ، وأنّهم الفاعلون الأساسيّون فيه، ما يملأ عليهم دُنياهم، ولا يَترك لهم من حيّزٍ لضَجرٍ أو مَللٍ أو سوى ذلك من ألوان الضِّيْعَة. مَرجعيّاتهم هي غير مَرجعيّات الكِبار، وكذلك ثقافتهم الرقميّة، فهي غير الثقافة التقليديّة للكِبار(المصدر نفسه: ص٥).

لذا نجد في ظرف قياسي، غيَّر فيروس "كورونا" الكثير من عادات الناس وسلوكهم ودفعهم لإعادة النظر في أشكال تواصلهم وأنماط روابطهم الاجتماعية. فالثورة الاتصالية المدعومة بفتوحات التكنولوجيا، والتي كيَّفت بدرجة متزايدة حركة العولمة ومساراتها في السنوات الأخيرة، تخضع هذه الأيام لاختبارات صعبة، سيُعاد بمقتضاها النظر في مجموعة من القيم والتصورات من قبيل الوصل والفصل والقرب والبعد والفرد والجماعة والعام والخاص والحرية والانضباط. (المولى، مصدر سابق: ص٢).

ثالثا: النظام الاقتصادي:

Third: the economic system:

بدايةً، ينبغي الإقرار بأنّ فاتورة وباء الكورونا تُعتبَر غير مسبوقة في العصر الحديث، وأَحدث خللاً كبيراً في الأسواق، وأطاح بالأرباح المُتراكِمة منذ سنوات في أسواق المال العالَميّة، وعرَّض كفاءة الحكومات وتخطيطها ونمط قيادتها للشكّ والمُساءلة. وأهمّ ما يُلخِّص تداعيات

هذه الجائحة وأخطره هو إجماع المؤسّسات الدوليّة المَعنيَّة، وفي طليعتها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، على توقُّع ركودٍ اقتصادي يشمل وإن كان بمعدّلات مُتفاوِتة من بلد إلى بلد في كلّ أصقاع العالَم، مُتراوِحاً بين ٦% و ١٢% من إجمالي النّاتج المحلّي القائم، تبعاً للفترة التي سوف تستغرقها الدورة الزمنيّة لهذه الأزمة، وسوف ينطوي هذا المعطى الكلّي الدراماتيكي على ارتفاعٍ غير مسبوق في معدّلات البطالة إلى ما بين ١٥% و٢٠% من إجمالي القوى العاملة، أي إلى ما بين ضُعفَي وثلاثة أضعاف مُعدّله عشيّة الأزمة، مع ما ينجم عن ذلك من ارتفاعٍ مُوازٍ في معدّلات الفقر (حمدان، مصدر سابق:ص٢).

وشهد ثلاثة أرباع العمال في العالم إغلاقا جزئيا، على الأقل، لأماكن عملهم خلال الوباء حذرت المديرة العامة لصندوق النقد الدولي، من أن أزمة فيروس كورونا ستحول النمو الاقتصادي العالمي إلى "سلبي بشكل حاد"، خلال العام الجاري. وقالت (كريستالينا جورجييفا) إن العالم يواجه أسوأ أزمة اقتصادية، منذ الكساد الكبير، الذي وقع في ثلاثينيات القرن الماضي. وتوقعت "جورجييفا" أن يشهد عام ٢٠٢١ انتعاشا جزئيا فقط؛ إذ أجبرت الإجراءات الاحترازية، التي فرضتها الحكومات، العديد من الشركات على الإغلاق وتسريح الموظفين. قالت دراسة للأمم المتحدة إن ٨١ في المئة من القوى العاملة في العالم، التي تقدّر بنحو ٣.٣ مليارات شخص، قد أُغلقت أماكن عملهم، بشكل كامل أو جزئي، بسبب تفشي المرض(مقالة،٢٠٢٠).

كما وَصفته "غيتا غوبيناث" (كبيرة خبراء الاقتصاد لدى صندوق النقد الدولي)، إنّه "العزل الكبير"، وسوف تكون مفاعيله الأشدّ عمقاً منذ "الكساد الكبير" في العام ١٩٢٩، وان تداعيات جائحة كورونا ليست مُسقَطة من فراغ، وهي بالتالي لن تحفر آثارها الاقتصاديّة المُستقبليّة على "ورقة بيضاء"، بل هي سوف تُضاف وتَندرج بشكلٍ مُلتبِس ومُعقَّد ضمن واقعٍ اقتصاديّ عالَميّ كان في الأصل مأزوماً، ولاسيّما في حقبة طغيان المُقاربات النيوليبراليّة وتَنامي ظاهرة العَولَمة، وإذ يطرح عالَم ما بعد كورونا تحدّيات هائلة على صعيد سياسات التحفيز الاقتصادي المطلوبة والدَّعم المُفترَض توفيره لحماية المؤسّسات والعاملين فيها والمُتعطّلين عن

العمل، فضلاً عن إعادة صياغة مُجمل أنظمة الحماية الاجتماعيّة، وبخاصّة الصحيّة منها، فإنّ تنفيذ هذه المهمّات سوف يفرض زياداتٍ حادّة في الإنفاق العامّ وفي العجوزات الماليّة للدول، وبالتالي في قيمة الدَّين العامّ العالَمي. ويتوقّع أن يزيد هذا الأخير بفعل جائحة كورونا،(حمدان،٢٠٢٠).

وصاغت (جورجييفا)، مديرة صندوق النقد الدولي، تقييمها السوداوي في ملاحظاتٍ، قبيل اجتماعات الربيع، التي يعقدها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، فيروس كورونا يضرب اقتصادات الدول النامية بشدة. وأضافت: "في الواقع، نتوقع أسوأ تداعيات اقتصادية منذ الكساد الكبير". يتوقع صندوق النقد الدولي أن يشهد العالم انتعاشا جزئيا، خلال العام المقبل، لكنها حذرت من أن الوضع ربما يزداد سوءا. وقالت: "أؤكد أن ثمة غموضا هائلا بشأن التوقعات. وقد يزداد الوضع سوءا اعتمادا على العديد من العوامل المتغيرة، بما في ذلك مدة استمرار تفشي الوباء". وفي وقت سابق، حذرت منظمة العمل الدولية، وهي إحدى الوكالات التابعة للأمم المتحدة، من أن الوباء يمثل "أشد أزمة" منذ الحرب العالمية الثانية، وقال الأمين العام للمنظمة، أنجيل غوريا، إن الاقتصادات تعاني من صدمة، أكبر مما كانت عليه بعد هجمات ١١ سبتمبر/ أيلول الإرهابية عام ٢٠٠١، أو الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨(مقالة، مصدر سابق: ص١٠).

فضلا عن ذلك نجد ضرورة الاشارة الى تفاقم المشكلة النظام الاقتصادي بالعالم وتفاقُم العجوزات والدَّين العام كانت ولا تزال تحتلّ صدارة المُشكلات، وخصوصاً في أوروبا المعرَّضة للتفكُّك وفي العديد من البلدان الناشئة، بما فيها البلدان العربيّة غير المُنتِجة للنفط. لقد وَضعَت تداعيات وباء الكورونا النمط الرّاهن للعَولَمة على مشرحة المُساءلة والمُراجَعة في أكثر من مجال، وكَشفت ولو بعد حين طبيعة المُحدّدات البنيويّة السلبيّة المُلازِمة للمُقارَبات التي رَعت وما تزال نِظام العلاقات الاقتصاديّة الدوليّة القائم، وينبغي أن تشمل هذه المُراجَعة العديد من الموضوعات الخلافيّة بين الدول لغرض معالجتها.

رابعا: النظام الثقافي:

Fourth: the cultural system:

سيشهد النظام التعليمي عبر العالم اعادة نظر فيه ليكون اكثر استجابة للتهديدات غير المتوقعة وستبدأ الأنظمة التعليمية عبر العالم بتطوير أدواتها، بما يجعل التعليم عن بعد أكثر كفاءة وتطورا، هي اليوم في بداية استجابتها لهذا الاسلوب، ولكن قطعا ستبدأ كل دول العالم بالاستعداد لحالات مشابهة، ولكن هذا الأمر لا يخلو من المخاطر، فهو يعتمد على استمرار شبكات الانترنيت والطاقة الكهربائية، ولكن ما الحل وما مصير التعلم عن بعد لو تعرضت هذه الى الانقطاع والتدمير او التعطيل، وثقافياً ستعيد كورونا نظر الشعوب بثقافاتها وتقاليدها السائدة، وسنرى عادات وتقاليد تختفي وتولد غيرها تكون أكثر تحفظا من الآخر او اكثر وقاية من مخاطر الغير، وهذا أمر جديد ربما لم تألفه البشرية من قبل، كما ستتعرض بعض الطقوس الى اعادة تقييم لجدواها او استجابتها لمقتضيات العلم والحاجات البشرية(العوادي،٢٠٢٠:ص١).

لذا فان تأثيرات جائحة كورونا في العالم سوف يخلق او يخلف انماطا وجوانبا ثقافية وتعلمية جديدة غير مألوفة في السابق بالعالم بحكم اجراءاته المكلفة التي تتطلبه الوضع العالمي الجديد او الراهن بعد ازمة كورونا في النظام الدولي، والتي سوف تكون لأثارها وتغييراتها وانعكاساتها بعدا متغايرا عما كانت علية في السابق وتترك اثرا على مجمل الحياة العامة بشكل عام وعلى الجوانب الثقافية والتعليمة بشكل خاص لأنها تتعلق بسلوك وعلاقات وافعال الناس على استقبال وضع اخر مستجد يتطلبه الظرف الحالي، وهذا الوضع الجديد بالعالم في المدى البعيد والقريب سوف تكون نتائجه حتمية بمدى نجاحه او فشله في امكانية قبوله ورفضه للتعليم بالشكل الجديد على انماط ثقافة الشعوب بسبب تحكم التكنلوجيا الحديثة واستخداماتها لشعوب العالم.

خامسا: النظام الصحي:

Fifth: the health system:

لقد أظهرت أزمة كورونا خللا هائلا ظل يكبر مثل كرة الثلج ويتفاقم سنة بعد أخرى، يتعلق بالإهمال الواسع الذي لقيه القطاع الصحي العام. وإذا كان الأمر مبررا في الدول الفقيرة

بقلة الموارد المالية والبشرية، فإنه في الدول الكبرى والغنية كان حصيلة خيارات منهجية مدبرة ومخطط لها، بسبب سياسة الخصوصية وإدخال ثقافة الربح وقيم السوق في مجال الرعاية الصحية وحياة البشر. في الولايات المتحدة الأمريكية النظام الصحي يعتمد إلى حد كبير على شركات التأمين الخاصة، وكشفت أزمة كورونا الوجه المخيف للولايات المتحدة الأمريكية، ومن ذلك هشاشة منظومتها الصحية وعجز مستشفياتها عن توفير الحد الأدنى من التجهيزات الصحية، بما في ذلك أدوات الوقاية للطواقم الصحية من أطباء وممرضين. إنه لمشهد سريالي أن يشاهد العالم بعض الممرضات في أثرى البلدان، وأكثرها قوة، وهن يرتدين أكياسا بلاستيكية، ويشتكين من عدم وجود بدلات صحية وأدوات واقية من الفيروس. طبعا هذا الأمر لا يعود إلى قلة إمكانيات أو شح موارد، بل نتيجة خيارات سياسية واقتصادية غير متكافئة تعطي الأولوية القصوى لصناعة السلاح وكبار الشركات على حساب رفاه المواطن وصحته العامة (غنيم، ٢٠٢٠).

كما ان نظام السوق يهدف إلى الربح بدرجة أولى، وقد أثر ذلك فعلا في التطور غير المتكافئ حتى داخل صناعة الأدوية واللقاحات نفسها، قبل أن نتحدث هنا عن أسبقية صناعة السلاح أو النفط مثلا. الاستثمار الرأسمالي يركز على الأدوية واللقاحات الأكثر استخداما وذات العائد المالي السريع. ولم يكن يخطر ببال شركات الأدوية واللقاحات مثلا أن يجتاح العالم وباء خاطف سريع الانتشار، ولذلك اتجهت العناية إلى صناعة أدوية ولقاحات كان يبدو إنها ستكون أكثر طلبا وربحية. وهذا الأمر يبين تهافت تلك المقولة التي يبشر بها الليبراليون والتي مفادها أن مصلحة الأفراد تؤول في نهاية المطاف إلى مصلحة المجموع. إذ الواقع يبرز أن مصلحة جنرال موتورز أو جنرال إلكتريك ليست بالضرورة مصلحة عموم الأمريكيين، قبل أن نتحدث عن مصلحة العالم(أنتوني نيونشتاين، د.ت).

لذلك بينت جائحة كورونا الطابع الاستراتيجي لقطاع الصحة، ولذلك اضطرت الدول إلى ضخ الأموال على عجل لبناء وتجهيز المستشفيات، بل تم تسخير الجيوش ومختلف أجهزة الدولة لمعاضدة القطاع الصحي العمومي. وقد كان أداء الدول الغربية نفسها متفاوتا على هذا

الصعيد، فبينما أظهرت ألمانيا والبلدان الإسكندنافية وتركيا جاهزية قوية في مواجهة الجائحة بدت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ودول جنوب أوروبا مرتبكة و متخبطة. لعل أكثر العناصر الإيجابية التي ولدت من رحم جائحة كورونا، هي شعور الجميع، بما في ذلك الحكومات اليمينية وسائر الأحزاب، أن القطاع الصحي أصبح قطاعا استراتيجيا، ولا يمكن العبث بحياة المواطنين وصحتهم لصالح رهانات الربح الرأسمالي، ومن المؤكد أنه سيكون من تبعات ذلك عودة الدولة مجددا إلى مجالات تمدد فيها القطاع الخاص(عبد السلام، مصدر سابق:ص٣).مهما يكُن غداً من أمرِ الجائحة وتداعياتها، فإنّ ملايين البشر القابعين في بيوتهم الآن بداعي الحجر الصحيّ يعيشون لحظاتٍ عظيمة في تاريخ الإنسان الحديث، وإنْ كان مُنتهى سُؤالهم هو زوالها. إنّها لحظاتُ سكونٍ جبريّ للتأمّل والاعتبار، تُتيح لمَن حَسب نفسه سيّد الطبيعة المُطلَق أن يستوعبَ حجمَه الحقيقيّ في النظام الكونيّ(غنيم، مصدر سابق:ص٣).

سادسا: النظام الامني:

Sixth: the security system:

ألقت أزمة انتشار وباء كورونا المستجد (كوفيد ١٩) بظلالها على كثير من أسئلة الأمن في العالم في جميع القطاعات الفاعلة في الحياة اليومية، وبالتالي سوف يتحدث العالم بعد وباء كورونا الجديد لسنوات قادمة عن موضوع الأمن، أي الأمن الذي يعني كل شيء يتفاعل معه الإنسان في حياته اليومية؛ وذلك لأن انتشار الوباء في أرجاء العالم يحمل معه سمات الحروب العالمية التي تعطل بسببها كثير من مفاصل الحياة العامة والمؤسسات الحكومية، فضلاً عن تعطيل النقل العام والاقتصاد ومظاهر الحياة اليومية، وبث الرعب الجمعي واستنفار المستشفيات، ونزول الجيوش للشوارع لتأمين حظر التجول والمحافظة على الناس، ولم يسلم منه الواقع الاجتماعي، بل ولم يسلم منه العالم السيبراني الذي صارت فيه البنية التقنية الهشة مجالاً للهجمات الإلكترونية (الشقير،٢٠٢٠).

فتقوية البنية التحتية التقنية تعد من الاستعدادات الأمنية؛ لأن الحياة العامة السريعة حجبت عن الحكومات مشكلات أمنية كثيرة كانت مهمشة، وبدأت تبرز مع سكون العالم، كما سوف تبرز فكرة قوة الدولة بذاتها وبمواردها وأبنائها، أكثر من انصهارها في العولمة، ويتكرر

الظرف مع وباء كورونا الذي كشف عن قضايا كثيرة كانت تبدو تنظيمية واجتماعية واقتصادية وصحية، وتبين أنها قضايا أمنية خطيرة تهدد وجود المجتمع، وكانت مخبأة تحت روتين العمل اليومي، ويتأكد ذلك بعد نتائج مبادرة "المسح النشط" لمحاصرة كورونا في الأحياء العشوائية ومساكن العمال، حيث ارتفعت أرقام المصابين من العشرات إلى أكثر من ألف يومياً، مما يؤكد أن صحة البيئة والسكن والمساكن والتخطيط الحضري واستقدام العمالة، صارت أحد عوامل مهددات أمن المجتمع ووجوده، وليست مقتصرة على المهددات التقليدية كالجريمة والانحراف في المجتمع (المصدر نفسه: ص٥).

وأشار التقرير إلى أن الوضع الأمني والاقتصادي والسياسي سيختلف في العالم ما بعد انتشار الفيروس. وإن تغير الحروب شكل العالم أكثر من أي شيء آخر، لكن يبدو أن الأوبئة تقل تأثيرا عنها، ووسط تفشي جائحة كورونا تواجه الدول في جميع أنحاء العالم اضطرابات واسعة النطاق، ليس فقط في ملف صحة سكانها واقتصاداتها، لكن بشأن جيوشها أيضا. وأضاف، في الوقت نفسه فأن الدول العظمى والكبرى مثل الولايات المتحدة والتي تمتلك الانتشار العسكري الأوسع على مستوى العالم، قد تضطر الى سحب قوات وبشكل متزايد من الخطوط الأمامية، والموزعة في رقع جغرافية وراء البحار مثل منطقة المحيط الهادي واسيا وأوروبا ومنطقة الشرق الأوسط وإفريقيا، للمشاركة في مواجهة تفشي الفيروس في الداخل (تقرير دولي،٢٠٢٠).

وقد ينتج عن ذلك تداعيات مثل حدوث انتكاسات في القتال ضد العديد من الجهات الفاعلة مثل التنظيمات الإرهابية وعصابات التهريب، وربما يؤثر حتى في تطوير القدرات العسكرية على المدى الطويل. أن تأثيرات ما بعد الجائحة سوف تكون واضحة وتنتج أوضاعاً اقتصادية وسياسية جديدة، وستتطلب بالتأكيد من الحكومات تقليص ميزانية الدفاع، وإن كان من السابق لأوانه معرفة مدى عمق التخفيضات الدفاعية إلا أنه إذا حصل ذلك بشكل كبير، سوف يكون القادة أمام خيارات صعبة. وأشار التقرير إلى أن الشرق الأوسط ليس استثناء،

والذي يشهد صراعات وحروب وديناميكيات استراتيجية والاحتمالات عديدة وخصوصا على مستوى خطوط المواجهات الساخنة فيه (تقرير دولي، مصدر سابق:ص٣).

ولقد أكد الرعب العالمي الذي تسبب فيه وباء كورونا أن الأمن لم يعد أمن الدولة فحسب، بل أصبح أمن كل شيء، بدءاً من الأفراد ثم الجماعات ثم الدولة وانتهاء بالأمن الدولي، كما أنه جعل الأمن منغرساً في حياتنا اليومية، ودخل في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والصحية، مما يعني حتمية مراجعة السياسات الأمنية في جميع القطاعات، بعد وباء كورونا، ومراجعة مفهوم الأمن في أدبيات العلوم الاجتماعية والإنسانية ليكون أكثر شمولاً واستيعاباً للمستجدات.بات من المؤكد أن تخضع جميع السياسات التعليمية والصحية والإدارية والسياحية والاقتصادية والبيئية، والبلدية للمراجعة على أسس أمنية بعد هذا الوباء (الشقير، مصدر سابق: ص٣).

وفي خضمِّ حالة الطوارئ و"الحرب الصحية" التي أعلنتها دول العالم لمكافحة انتشار فيروس كورونا المستجد (كوفيد–١٩) –بعدما صنَّفته منظمة الصحة العالمية "جائحة" أو وباء عالميًّا– كانت هناك حرب أخرى غير تقليدية تَسْتَعِر على مستوى الأفكار والتصورات؛ يمكن تسميتها بالصراع الرمزي أو الحرب الرمزية التي تتجاوز في أهدافها وأبعادها الاستراتيجية ما يصفه البعض بـ"الحرب الكلامية" أو "حرب الاتهامات" بين أطراف هذا الصراع الذي يجري في ساحات وفضاءات ومجالات متعددة وبأدوات مختلفة. وقد استهدفت هذه الحرب غير التقليدية، التي يُسمِّيها الباحث في الشؤون الأمنية الدولية،(مايكل والر *J. Michael Waller*)، بـ"حرب الأفكار"(*Michael Waller, 2007*).

إنشاء تمثُّلات وسرديات تُحدِّد التركيب الجيني لفيروس كورونا وأصله ومَنْشَأه والجهة التي صنَّعته في سياق استراتيجية حربها البيولوجية التي تخوضها ضد خصومها، ثم محاولة التحكُّم في الخطاب العام على مستوى الرؤية السياسية والتأثير في الرأي العام المحلي والعالمي عبر الترويج لهذه التَّمثُّلات في وسائل الإعلام والمنصات الرقمية المختلفة، ثم تعيين مسؤولية الجهة المُصَنِّعة

للفيروس (أخلاقيًّا) والخسائر والأضرار التي ألحقتها بالاجتماع الإنساني والعمران البشري وانعكاسات ذلك على السلم والأمن الدوليين(الراجي،٢٠٢٠).

مستقبل النظام الدولي العالمي بعد جائحة كورونا

The future of the global international system after the Corona pandemic

إنَّ مستقبل النظام السياسي الدولي سيشهد تحولات كثيرة يتحدد حسب طبيعة سياسات الفاعلين فيه، ولان توزيع القوة في الوقت الحاضر بات يختلف عن الفترات السابقة، فان توزيع عناصر القوة تحده فاعلية طرف من عدمها، وعليه فان النظام السياسي الدولي في وضعه الحالي اقرب ما يكون الى وضع دولي او حالة موقتة وهو في طور التحول نحو التعددية القطبية بالعالم. ان القطبية الاحادية اصبحت غير قادرة على مواجهة الازمات التي تعصف بالساحة الدولية، فالمخاطر اصبحت من الصعوبة بمكان مواجهتها من طرف دولي واحد، وهذا الامر شكل تحدياً كبيراً للهيمنة الامريكية، وقد ادركت ذلك ولا سيما بعد تولي الرئيس الأمريكي (باراك اوباما) الرئاسة الامريكية، لهذا فتحت المجال امام الفاعلين الاخرين للمشاركة في ادارة السياسة الدولية والمشاركة في مواجهة الازمات ومن هذه الاطراف التي اصبح له تأثير في النظام السياسي الدولي هي الصين (خضير،٢٠٢٠).

وإنّ ما تمخَّضت عنه أزمة الكورونا من حقائق ومُعطيات سوف يَدفَع في اتّجاه عَولَمةٍ أقلّ مُقارَنةً بنَسَق العَولَمة الحالي المُستمرّ منذ عقود. ويرجَّح أن ينتقل العالَم في القرن الحادي والعشرين، بحسب العديد من مراكز الأبحاث الدوليّة، نحو عَولمةٍ مُتبادَلة أو ثنائيّة – أي أكثر توازناً – على أنقاض النَّسق الآحادي الرّاهن، في ضَوء تسارُع نضوج الظروف الجيوسياسيّة والاقتصاديّة القادرة على فرْض منظومة جديدة للعلاقات الدوليّة، تتشارك في إدارتها الولايات المتّحدة والصين. وهذا ما سوف يستدعي بالضرورة إعادة تحديد وظائف المُنظّمات الدوليّة وأدوارها، التي تخدم في معظمها، راهِناً، مَصالِح الطرف أو الأطراف المتحكِّمة بمنظومة العلاقات الدوليّة القائمة. وقد تكون العَولَمة البديلة أقلّ طموحاً لجهة قدرتها على تحقيق معدّلات نموّ اقتصادي مُرتفعة، ولكن سوف توفِّر في الوقت ذاته قدراً أكبر من الاستقرار في مُواجَهة

الصدمات الكبيرة، بما فيها الصدمات المتأتّية عن تزايُد "أَمْوَلة" الاقتصاد وانتشار الأوبئة والتردّي المُفرط للشروط البيئيّة وإساءة استخدام بعض مُخرجات التطوّر التكنولوجي المُتعاظِم. (حمدان، ٢٠٢٠).

هنا أيضاً يُمكن مُلاحظة أنّ مُقدّمات العالَم المُنتظَر بعد السيطرة على الجائحة، قد أخذت في التشكُّل منذ عقدَين أو ثلاثة، فبدرجةٍ كافية من الثقة يُمكن القول إنّ نِظام القطبيّة الأحاديّة قد انتهى، أخذاً بعَين الاعتبار حقائق من نَوع استعادة روسيا جوانب من مَهابتها الدوليّة التي كانت لها في العهد السوفييتي، والأهمّ من ذلك هو الصعود الصيني، بخاصّة من وجهة النظر الاقتصاديّة، وأتت طريقة تصدّي الصين لتفشّي الفيروس في أراضيها وتمكُّنها من احتوائه بسرعة قياسيّة وفي أضيَق نِطاقٍ مُمكن، لتُقدِّم دليلاً قويّاً على جاهزيّة منظومتها الاقتصاديّة – الاجتماعيّة في التعامُل مع التحدّيات، التي كان "كوفيد – ١٩" نموذجاً لها، فيما لا زالت القوّة الدوليّة الأكبر في العالَم، الولايات المتّحدة، تتخبّط في المُعالَجة، وتنمّ التصريحات المُتناقضة لرئيسها عمّا هي عليه إدارته من ارتباك. لا يقلّ دلالة تفاقُم مَظاهر التناقُض الأميركي – الأوروبي الذي يتجلّى في طريقة إدارة الرئيس الأميركي لملفّ العلاقات مع أوروبا(مدن، ٢٠٢٠: ص١).

وكان بعض الباحثين الغربيّين، وبينهم (سوسان جورج) في كِتابه: "أنا والعَولمة – عالَم بديل مُمكن"، تمنّى، وهو ينطلق من التسليم ببداية أفول الدَّور الأميركي، أن تكون أوروبا الموحّدة هي البديل، فلا بديل لعالَم آخر مُمكن من دون أوروبا الواعية لجذورها وثقافتها. بل إنّه يذهب حدّ القول إنّه إذا لم ننجح في إقامة مثل هذا الوعي الأوروبي، بضرورة نشوء أنموذج مُختلف تماماً عن الأنموذج الأميركي، كأساسٍ للعالَم البديل، فإنّ هذا العالَم لن يُصبح مُمكناً، بل إنّ أوروبا نفسها قد تتحوّل إلى مجرّد قارّة فيها كنائس وقصور جميلة، ولكنّها فاقِدة للدَّور (المصدر نفسه،ص٢).

وسوف تضطرّ الحكومات وكذلك الشركات والمُجتمعات إلى تعزيز استعداداتها وقابليّاتها للتكيُّف أكثر مع حِقَب أطول من الانكفاء الاقتصادي النسبي، وربّما العودة المُتدرِّجة إلى

سياساتٍ حمائيّة في ظلّ تنامي دَور الدولة الراعية مُجدّداً، حتّى لو بقيَت التساؤلات والهواجس المشروعة تُظلِّل الإطار النظري والجيو–سياسي الذي يحكم هذا المفهوم في عالَمنا المُتغيّر. وسوف تنشأ تبعاً لذلك وتتعزَّز الحاجة إلى بلْورة نظرة ثانية أكثر توازناً حيال العديد من القضايا الدوليّة المحوريّة، ومن ضمنها: مسألة التوازُن بين الدولة والسوق ربطاً بتعاقُب النظريّات الاقتصاديّة المُستوحاة من واقع التحدّيات الرّاهنة وتطوّرها، ومسألة كبْح جماح الاحتكارات الدوليّة والشركات المتعدّدة الجنسيّات في إطار نمط العَوْلَمة البديلة وعَودة انبعاث الدولة الوطنيّة، والمَسائل الشائكة المُتعلّقة بقواعد المُنافَسة وبمَسارات التقسيم الدولي للعمل وبالتموضُع الجغرافي لحلقاته الأساسيّة(حمدان، مصدر سابق، ص١).

وكذلك إعادة التفكير في الأنماط الحاليّة لاستخدامات التكنولوجيا المطلوب تحريرها من المصالِح الخاصّة والمُباشرة للمجمّع الصناعي– العسكري وتصحيح علاقتها بمتطلّبات حماية البيئة ومُكافَحة التصحُّر وارتفاع درجات الانبعاث الحراري في الكَوكب. وإلى هذا كلّه، بل ربّما قبله، يجب إحلال موضوع صياغة نُظم جديدة للحماية الصحيّة والاجتماعيّة صدارة الاهتمامات (في ضوء تداعيات جائحة الكورونا)، ولكنْ مع الحرص على تجنّب الإيغال في "أمْنَنَة" *securitisation* موضوع الصحّة بالذّات وتحويل كلّ ما يتعلّق بصحّة المُواطن (الفرد) إلى حقلٍ يخضع بامتياز لشتّى تطبيقات الذكاء الاصطناعي والبَرامِج الإلكترونيّة الشاملة وتجميع المعلومات (الإفراديّة)، الأمر الذي ينطوي على تدخّلٍ فجّ في الشؤون الشخصيّة للمُواطِن ويُقيّد الحرّيات الخاصّة والعامّة ويفسح المجال أمام التوظيف السياسي لهذا الموضوع (المصدر نفسه، ص٢).

وكشفت الجائحة أنّ أوروبا أبعد ما تكون عن هذا الدَّور، وها هو اتّحادها يترنّح، ليس لأنّ بريطانيا، بكلّ ما لها من ثقل، قد خرجت منه فحسب، وإنّما أيضاً لأنّ كبير الدول وصغيرها فيه فشلت في إظهار أيّ تضامُنٍ مُتبادَل في مُواجَهة الكارثة، ما جعل إيطاليا تُعبّر عن مَظاهِر الامتنان، لا إلى الصين وروسيا وحدهما، لمدّهما يد العون إليها، إنّما أيضاً إلى كوبا، الجزيرة الفقيرة المعزولة والمُحاصَرة، لكنّها برهنت على امتلاكها لواحد من أكثر الأنظمة الصحيّة كفاءة في

العالَم. لقد كشف "الاتّحاد الأوروبي" عن نفسه، فإذا به أبعد ما يكون عن الاتّحاد، وأنّه في الحقيقة مجموعة من الدول – الأُمم التي باتت تفكّر في مصلحتها، لا في مصلحة مجموع القارّة. وبالتالي لم يعُد ترامب وحيداً في رفْعه شعار "أميركا أوّلاً، فها نحن إزاء "بريطانيا أوّلاً"، و"ألمانيا أوّلاً"، و"فرنسا أوّلاً"... إلخ. المؤكّد أنّ إدارة مُختلفة للتناقضات القائمة ستُصبح ضرورة لا مناصّ منها، لكنّ السؤال يبقى: هل ستُغادر البشريّة أوهامها هذه بعد أن ينجح العِلم في قهْر الجائحة؟ أشكّ في ذلك كثيراً، بدليل أنّ الرئيس ترامب لم يجد ما يفعله، وهو يتخبّط في إدارة الأزمة، سوى التهديد بقطْع المُساعدة عن منظّمة الصحّة العالَميّة!(مدن، مصدر سابق، ص٣).

إنّ أزمة كورونا ورغم طابعها المأساوي وما ولّدته من إتلاف في الارواح وتعطيل لحركة المجتمعات ألا أنها كانت ضرورية ليقظة الوعي الإنساني وتجنب الكثير من المتاهات التي انساق إليها الاجتماع السياسي الكوني بوعي أو من دون وعي. نحن هنا وكأننا إزاء انتقام البيولوجيا من التكنولوجيا، وانتفاض الطبيعة على جشع النظام الرأسمالي الذي ينفق على الجيوش عشرات المرات حجم ما ينفقه على الصحة والأبحاث الطبية، بعد أن ربط ذلك بقيمة التربح وسوق العرض والطلب. ربما تساهم هذه الأزمة على خطورتها، في تراجع النزعة العلموية، أي تلك الثقة الزائدة في العلم، وأنه قادر على حل المعضلات والمشاكل الراهنة، مثلما تساهم في بث روح التواضع، والتخفيف من النزعة الأنانية لدى الإنسان وغروره وطيشه في التعامل مع الطبيعة والكون وشركائه من بقية الخلق. ظاهرة كورونا تذكرنا جميعا بوهن الوجود الإنساني في مواجهة الموت، وإن مدن الرفاه بأنوارها وصخبها ليست محصنة بالكامل من حتمية الفناء. (عبد السلام، ٢٠٢٠).

وفي حال اجتازَ البشر المِحنة، سنكون إزاء اللّحظة التي تعقب الانعطافات الكبيرة في الحروب، كتلك التي عرفها العالَم بعد الحربَين العالَميّتَين الأولى والثانية. صحيح أنّ نيران الأسلحة لم تُطلق، والدماء لم تَسل في الحرب ضدّ "كوفيد – ١٩"، ولكنّه أَسهم وسيُسهِم في خلْق عالَمٍ جديد، عالَم تالٍ له. الحقّ أنّ إرهاصات ومقدّمات العالَم الذي يُعجِّل تفشّي الجائحة في تبلْوره واستوائه، قائمة بالفعل، حسبنا هنا أن نُشير إلى بعض المظاهر، التي ليست هي الجوهريّة

بالضرورة، لكنّها شديدة الأهميّة أيضاً. فقد أَقعدنا "كوفيد – ١٩"، اضطّراراً، في بيوتنا، وحوَّل مُدناً تضجّ بالحياة الصاخبة ولا تنام إلى مُدنِ أشباح، اختفى البشر من شوارعها ومحلّاتها ومقاهيها وحاناتها، فأصبح ملاذنا في عالَمٍ آخر، هو العالَم الافتراضي، الذي لم يخلقه تفشّي الجائحة، ولكنّ تفشّيها أظهر أنّه سيكون العالَم الموازي، وربّما البديل، للعالَم الواقعي، وأنّ تواصلنا المُقبل قد يكون عن طريقه فقط(مدن، مصدر سابق، ص٤).

الخاتمـــــــة

Conclusion

منذ أن حلَّ وباء كورونا البغيض بالعالم، راجت سوق الغيبيّات. وإنْ كان هناك شيء إيجابيّ لهذه الجائحة، فهو في تعْرية زيف السياسات، وكشْف مستور المُجتمعات، التي تتبجّح حكوماتها بالعناية بالإنسان. لأنّ هناك عالَماً تُسيِّره الشركات العملاقة والعابرة للقارّات، هدفه الربح والسيطرة على الأسواق، وما الإنسان إلّا أداة في دَورة الاستغلال هذه. لا نقول كانت كورونا ضرورة وحاجة، لأنّ بؤس العالَم في غنى عن تمنّي بؤس جديد، ولكنّها كانت صيحة في وجه اللّامُبالاة، حتّى يستفيق العالَم من غفوته بعدما غدا صراخ المظلومين بلا معنى، وأنين الجياع بلا أثر، وتظلُّم المُهاجرين بلا رجْع، في ظلّ التبلّد المُعولَم للأحاسيس واللّامُبالاة الجماعيّة الطاغية.

فقد كان الفقراء والمهمَّشون والمشرَّدون، وما زالوا، شرائحَ مُجتمعيّة خارج الحسبان في العديد من دول العالَم، ليس هناك رعاية تستهدفهم من قبل بلدانهم سوى من قِبَل بعض أولئك الذين يقفون حقّاً في صفّ المَحرومين. ومع كورونا تحوَّل هؤلاء المستضعَفون إلى قنابل موقوتة على أنفسهم وعلى غيرهم، على حدّ سواء. ولعلّ الدرس المُهمّ الذي وقف عليه الجميع، ظَلَمةً وضحايا، هو هشاشة عالَمنا، فليس هناك أحدٌ، بسبب ذلك التفريط، في مَأمنٍ من كابوس كورونا، ولو كان في بروجٍ مشيَّدة. ومن هذا الباب ليس العالَم ما مضى، بل ما هو كائن وما سيكون، ومن ثمّ نحن في حاجة إلى بناء أحلاف جديدة وعهود جديدة حتّى نُنقِذ عالَماً بات عرضةً للتهديد باجتياح جوائح أخرى هي أخطر على الإنسان، الاستغلال الفاحش، والمديونيّة الخانقة، والجهود المسروقة، والبلدان المفلِسة، والشعوب المُحاصَرة، والطبيعة المُستنزَفة، هذه هي الكورونات الحقيقيّة.

فضلا عن ذلك واضح إن كل دول العالم سوف تعاني بدرجات متفاوتة من مخلفات أزمة كورونا من التحولات والتبدلات والتغييرات التي سوف يشهدها المشهد السياسي العالمي بسبب التداعيات والانعكاسات والاثار التي خلفتها جائحة كورونا على المدى القريب والبعيد في

النظام الدولي وفي الدول، وعلى مستقبل العلاقات الدولة واقطاب الصراع العالمي، وان كان بعضها معرضا لمخاطر وهزات أكثر من غيرها، بحكم نضوب مواردها المالية وارتباط اقتصاديات الكثير منها بالدعم الخارجي، وأوروبا التي ستواجه بدورها مخلفات ثقيلة لكوفيد– ١٩.أما دول الريع النفطي فان احتياطاتها المالية ستجعلها قادرة في الحد الأدنى على شراء ولاء المواطنين والسيطرة نسبيا على مشاكلها الداخلية من دون أن تعدم إمكانية تعرض بعضها إلى هزات داخلية.

اولا: الاستنتاجات:

Firstly: Conclusions:

وبناءً على ما تقدم فقد توصل البحث الى عدة استنتاجات، منها:

١. إنَّ العالم ما بعد كورونا سيكون عالما اكثر تعقيدا، واقل امنا، اكثر عدوانية واقل انفتاحا، انه عالم بلا توازن تحكمه رمال جيوسياسية متحركة صعبة المراس.

٢. لقد احدثت جائحة كورونا تصدعات بالغة الاهمية في كل اركان النظام العالمي وعلى نحو كبير، وقد كانت اضرارها اشد فتكا وتحمل عنصري المباغتة والسرعة في ان واحد.

٣. على الرغم من صعوبة تخمين الاضرار الاستراتيجية التي ستلحقها الجائحة بالنظام الدولي بكافة أبعاده، الا انه من الواضح ان الامور وما سيؤول اليه التنافس جيوسياسي العالمي الكبير في المرحلة ما بعد كورونا، لمن تتربع عرش الهرمية الدولية بعد ان كانت محسومة بشكل صارم للولايات المتحدة الامريكية.

٤. إنَّ عالم ما بعد كورونا سيكون محطما على نحو كبير في نواحي الحياة المتعددة جائحة كورونا يعيد تشكيل النظام العالمي وقد تغير خارطة التحالفات الاستراتيجية بالعالم.

٥. سبب فيروس كورونا حالة غير مسبوقة من الرعب والهلع والفزع تعم العالم بدوله المتقدمة والمتخلفة وباختلاف الانظمة والحكومات والايديولوجيات.

٦. إنَّ التداعيات التي ستخلفها الجائحة ستكون اشد ايلاما على الاقتصاد العالمي الى درجة سيتجه نحو اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد، لان الاقتصاد العالمي يختل ويصاب بحالة من الارباك، والخبراء الاقتصاديون فقدوا القدرة على التنبؤ الدقيق بالمستقبل.

ثانيا: التوصيات :

Secondly: Recommendations:

قدم البحث بعض التوصيات لمعالجة الاوضاع المجتمعية بالعالم ونظامها المستقبلي ما بعد جائحة كورونا وعلى النحو الآتي:

١. ضرورة التعاون بين الدول فيما بينهم لتجاوز المحن والاوبئة والامراض والكوارث والازمات في العالم بعيدا عن الاتهامات واللوم واثارة المشاكل.

٢. مراجعة النظام الصحي في كافة البلدان وخاصة الدول المتقدمة، ومعالجة هشاشة هذا النظام بحيث يكون على درجة عالية من الجهوزية والقدرات والامكانيات لمواجهة اي امر او احداث طارئة تحدث في العالم.

٣. ضرورة الدعم والتنسيق مع منظمة الصحة العالمية والاستفادة من خبراتها والالتزام بتوجيهاتها في مجال الوقاية من الفيروسات والامراض وخاصة جائحة كورونا .

٤. العمل على تنفيذ البنود والاتفاقات الخاصة بالعهد والقانون الدولي الذي يحافظ على الامن والاستقرار العالمي مع ضرورة الاهتمام بالحفاظ على حقوق الانسان وكرامته وتوفير كل سبل الحياة الكريمة له للعيش بسلام، بحيث يبعد وتنقذ البشرية من ويلات الازمات والاوبئة والحروب والارهاب والعنف فضلا عن الابتعاد عن الصراعات والتناحر والاتهامات والاقتتال بين الدول.

٥. انشاء مركز استراتيجي موحد بالعالم لإدارة الازمات والكوارث والاوبئة وتقديم العون والمساعدات الفنية الازمة والانسانية الضرورية وبالسرعة الممكنة للدول التي بحاجة الى ذلك قبل تفاقم الامور لغرض معالجة ومواجهة مشكلاته قبل ان يؤدي ذلك الى ترك اضرار وهلاك البشرية بالأرواح والممتلكات.

المصـــــــادر

References

I. ابراش، ابراهيم(٢٠٢٠)،من عالم ما بعد الحداثة الى عالم ما بعد كورونا، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية،بتاريخ٢٠٢٠/٩/٧،متاح على موقع/ www.pplitics-dz.com

II. أنتوني نيونشتاين (د.ت)، رأسمالية متوحشة– كيف تجني الحكومات والشركات العالمية أرباحا طائلة من ويلات الحروب مصائب البشرية، ترجمة أحمد عبد الحميد، دار المعرفة.

III. بوتاني، حسام واخرون(٢٠٢٠)،عالم ما بعد كورونا – ديناميات متجددة لرسم نظام عالمي جديد، مركز صنع السياسات للدراسات الدولية والاستراتيجية، اسطنبول، تركيا.

IV. تقرير دولي(٢٠٢٠)، " عالم ما بعد كورونا" عن الأوضاع الأمنية والاقتصادية في العالم، صدر عن مركز صنع السياسات للدراسات الدولية والاستراتيجية، بتاريخ٢٠٢٠/٠٥/٣١ ، متاح على موقع: www.thebaghdadpost.com

V. حمدان، د. كمال (٢٠٢٠) قراءة أوَّليّة في الأبعاد الاستراتيجيّة لجائحة كورونا، مؤسسة الفكر العربي، بتاريخ //٢٠٢٠،متاح على الموقع:
www. arabthought.org

VI. خضير، د. مُحَمَّد ياس(٢٠٢٠)،الصين ومستقبل النظام السياسي الدولي، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، بتاريخ ٢٠٢٠/١/١٣، متاح على موقع/ www.pplitics-dz.com

VII. د. مصطفى حجازي(٢٠٢٠)، الكورونا.. مُقارَبةٌ نَفْسْ– اجتماعيّة، مؤسسة الفكر العربي، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/١٤،متاح على موقع: www. arabthought.org

VIII. الراجي، مُحَمَّد(٢٠٢٠)، الصراع الرمزي والحرب النفسية في أزمة انتشار وباء كورونا نشرت في: ٢٠٢٠/٠٤/٢٦، مركز الجزيرة للدراسات، متاح على موقع.Swww.aljazeera.net

IX. الشقير، د. عبدالرحمن(٢٠٢٠)،توسيع معنى الأمن بعد كورونا، بتاريخ ٥/٥/ ٢٠٢٠،متاح على موقع: www arabthought.org

X. شلدون واتس (٢٠١٠)، الأوبئة والتاريخ – المرض والقوّة والإمبرياليّة، ترجمة وتقديم أحمد محمود عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، القاهرة .

XI. عبد الحافظ، د. محمود عزّت(٢٠٢٠)، كورونا واستراتيجيّات إدارة أزمتها عربيّاً، مركز الدراسات الاستراتيجيّة في مَكتبة الإسكندريّة،بتاريخ١٣/٦/٢٠٢٠

XII. عبد السلام، د رفيق (٢٠٢٠) عالم ما بعد كورونا إلى أين، مركز الدراسات الاستراتيجية والدبلوماسية،بتاريخ١٣/٤/٢٠٢٠،متاح على موقع: www.csds-center.com

XIII. عبد السلام، د. رفيق (٢٠٢٠)،عالم ما بعد كورونا إلى ..اين، مركز الدراسات الاستراتيجية والدبلوماسية، بتاريخ ١٣/٤/٢٠٢٠،متاح على موقع: www.csds-center.com.

XIV. عبد المولى، عز الدين(٢٠٢٠)، ما القوة الحيوية؟ كورونا واختبار المفهوم التقليدي لقوة الدولة، نشرت في: ٢٠٢٠/٠٣/٢٩،مركز الجزيرة للدراسات، متاح على موقع: www aljazeera.net

XV. عناية، د. عز الدّين(٢٠٢٠)، ضدّ "ما قبل كورونا.. وما بعدها"، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/١١،متاح على موقع: www. arabthought.org

XVI. العوادي، خالد، عالم ما بعد كورونا كيف سيكون، شبكة النبأ، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٥،متاح على موقع https://anabaa.org.

XVII. غنيم، د. أميرة، وباء كورونا وسقوط الأوهام، مؤسسة الفكر العربي، بتاريخ٢٠٢٠/٣/٢٠،متاح على الموقع: www. arabthought.org

XVIII. فرحات، أحمد (٢٠٢٠)، كورونا وباء ضدّ الإنسانيّة، مؤسّسة الفكر العربي، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٦،متاح على موقع: *www. arabthought.org*

XIX. مدن، د. حسن (٢٠٢٠)كاتب من البحرين، عالَم ما بعد الجائحة: مقدّمات قَيْد التشكُّل، بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٨،متاح على موقع: *www. arabthought.org*

XX. المركز الديمقراطي العربي(٢٠٢٠)،منطقة الشرق الاوسط ما بعد ازمة كورونا– تحديات الوباء الجيواستراتيجي، المؤتمر الافتراضي بتاريخ ١٥–٢٠٢٠/٨/١٦ بالتعاون مع مركز متعدد التخصصات للبحث في حسن الاداء والتنافسية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، المغرب.

XXI. المغير، مُحَمَّد عبد ربة(٢٠٢٠)،جائحة فيروس كورونا فرصة لتحقيق العدالة الانسانية، مجلة الدراسات الاستراتيجية للكوارث وادارة الفرص، المجلد الثاني، العدد/٥، المركز الديمقراطي العربي، برلين.

XXII. مقالة (٢٠٢٠)، فيروس كورونا: التداعيات الاقتصادية ستكون "أسوأ من أزمة الكساد الكبير"١٠ أبريل/ نيسان ٢٠٢٠.

XXIII. ويكيبيديا (٢٠١٩)،مرض فيروس كورونا ٢٠١٩،متاح على موقع:
www.ar. Wikipedia.org

XXIV. يورو نيوز (٢٠٢٠)، أي عالم ينتظرنا بعد كورونا؟ سيناريوهات ما بعد الوباء، بتاريخ ٢٠٢٠/٠٣/٢٤،متاح على موقع/*www. arabic.euronews.com*

XXV. *Michael Waller, (2007)Fighting the War of Ideas Like a Real War: Messages to Defeat the Terrorists (Washington: the Institute of World Politics Press.*

XXVI. *Carl Schmit , (1996)The Concept of the Political, Translated by George Schwab ,The University of Chicago Press*

Contemporary international transformations and their future prospects In the Post-Coronavirus Pandemic A Sociological Vision

Assistant Prof. Dr. Hamdan Ramadan Mohammed
Mosul University - College of Arts

Abstract

The research aimed to identify the nature of the emerging international transformations on the global political arena and their relationship to the new world order after the Corona pandemic (Covid19). In addition to that, we tried to identify some potential international variables in the post-Corona pandemic era. Moreover, reference was made to the knowledge of the dimensions and implications of the Corona virus on societal systems. This research is a descriptive and analytical study in which we used the inductive and deductive approach to analyze future foresight, and the most important expected variables in changing the global geo-political, economic, social and cultural system after the Corona pandemic under the next international system. The research concluded that the world order after Corna will not return to what it was before.

Journal of Juridical and Political Science
Web: www.lawjur.uodiyala.edu.iq